صحة الجسم والدور النفسي

د. طوني عبد النور
أستاذ في الجامعة اللبنانية

«درهم وقاية خير من قنطار علاج»، قول مأثور لا يزال يراودنا بين فترة وأخرى. لكن الوقاية وحدها قادرة على أن تجعلنا نحيا حياة خالية من الأمراض؟! أو ان هناك أساليب حياتية يجب انتهاجها؟! قديماً كان الملوك يلجأون إلى الأطباء فيجعلونهم من خاصتهم لأنه لا ألذ من حياة ننعم فيها بسلام وطمأنينة، علماً أن الطب الطبيعي المرتكز على المداواة بالأعشاب كان سائداً آنذاك. اما اليوم فالهندسة الوراثية، او «هندسة الجينات» تجيب انه بإمكاننا مستقبلاً الاستغناء عن الأطباء إلى حد كبير ربما.

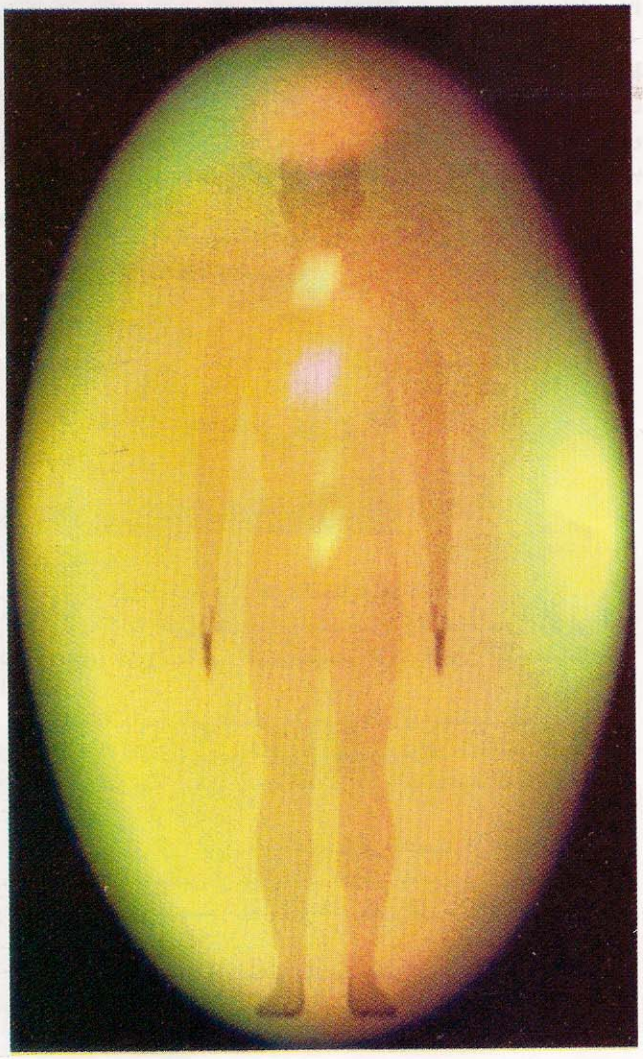

لكن عجباً، كلما حاول الطب القضاء على مرض معين، تنشأ أمراض جديدة وربما مميتة أو اشد إيذاء وإيلاماً من سابقتها، وكأن هنالك سباقاً مريراً بين الطب من جهة وهذا العدو اللدود الذي ندعوه المرض من جهة أخرى.

فما سبب هذا التكاثر الجديد لأمراض غير معروفة سابقاً؟

وهل إن الأمراض أيضاً تتطوّر لتوجد أنواعاً أكثر فتكاً بالإنسان فيتعذر على العلم إيجاد علاج ناجح لها؟

إن أبرز الأمراض المستعصية التي تواجه الطب، هي الأمراض السرطانية، التي تنتج عن تكاثر مخيف لخلايا عديمة الفائدة تسبب أوراماً خبيثة.

ويعزو العلم السبب إلى اضطراب الدورة الخلوية العائدة إلى الانقسامات المستمرة دون كابح أو ضابط حيوي.

ويؤكد علماء الوراثة أن أكثر من نصف أنواع الأورام البشرية تنشأ عن تعطيل دور البروتين P53 التي تنتجه إحدى الجينات. وفي هذه الحالة يستخدم العلم وسيلتين لمعالجة المصاب طبقاً لحالته، الأولى تقضي بتناول العقاقير وبأخذ الحقن الكيميائية، اما الثانية فتستخدم حقلاً كهربائياً مهمته القضاء على نواة الخلية المصابة. وعند الفشل يعمد الطبيب المعالج إلى الجراحة لاستئصال الأورام السرطانية المنتشرة في أماكن الإصابة.

اما الأشخاص المصابين بانهيارات عصبية، فمعالجتهم تتم بوسائل مختلفة، منها وصف المهدّئات للمريض لتريحه ولو موقتاً من دون أن تداوي سبب تصرّفاته اللاواعية والعصبية. كما يستخدم الطب حالياً نوعاً من حقل كهرومغناطيسي لتعديل حقل الطاقة في الدماغ.

وقد تحدّث أبو الطب اليوناني ابقراط (Hippocrates) قديما عن احد أنواع الانهيارات العصبية «المنخوليا»، فيما يعتقد الطب النفسي أن هذا المرض يعود إلى صدمة عاطفية حدثت في أيام الطفولة. أما علم الأعصاب فيقول أن سبب الانهيار العصبي يعود إلى عدم الانتظام في عمل الدماغ.

وأسباب هذه العوارض تكمن في الجينات الوراثية أو ADN وتحديداً في الكروموزوم x والكروموزوم الحادي عشر، لان هنالك خللاً في إفرازات بعض الغدد تحدثها هذه الجينات، مما يسبب أيضاً خللاً في جهازي الدماغ اللمفاوي والبارا-لمفاوي. فجميع ما يصيبنا من أمراض وعاهات منشؤها كما يقول العلم هي الجينات الوراثية أو DNA. لذلك يتوجب البدء بمعالجة الجينات المصابة وإبدالها بجينات سليمة، وكأنما الإنسان أصبح مركباً فقط من جملة كروموزومات معقدة لا غير!

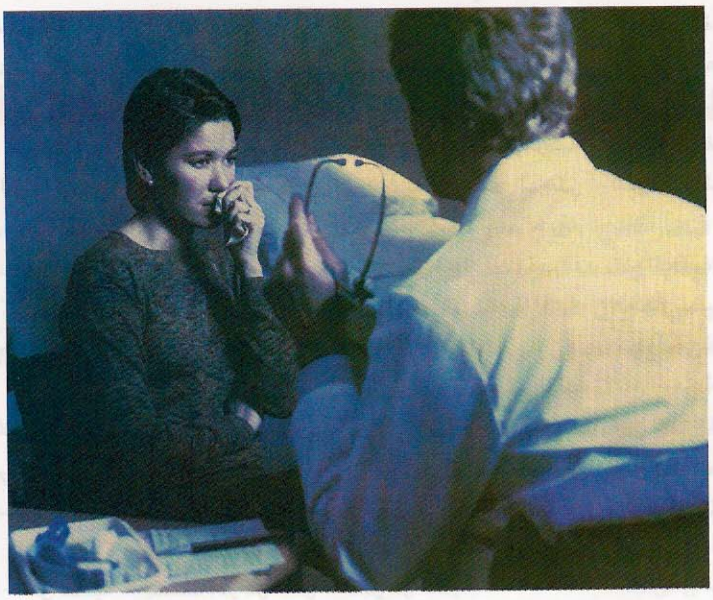

من ناحية ثانية استطاع بعض أطباء النفس معالجة مرضاهم من خلال مداواة الباطن عبر التنويم المغناطيسي، حيث تمّ إرجاع المريض إلى زمن سابق، فتذكر حياته هذه دون أن يعيها، وبمساعدة الطبيب المعالج طلب إلى المريض أن يزيل علّة ما عالقة في باطنه، كأن يتوقف مثلاً عن عادة سيئة لا يستطيع التخلص منها حالياً، هذا والمريض يخضع لأوامر طبيبه وعندما استعاد وعيه تبيّن له انه شفي تماماً من علّته.

وقد تحدثت علوم باطن الإنسان «الايزوتيريك» عن كيفية انتقال الأمراض من النفس إلى الجسد بهذه الوسيلة الخافية... وهذه العلوم تتعامل مع الانسان باعتباره مكونا من سبعة أبعاد أو أجهزة وعي ذبذبية التكوين، ابطأها الجسد المادي الذي هو أدناها وعياً، اما أسرعها تذبذباً فهو الروح.

ويشير «الايزوتيريك» إلى أن الأمراض السرطانية هي نتيجة أعمال المرء نفسه. إذ يتخذ المرض شكل ذبذبات رمادية، أو بنية، أو سوداء اللون تغشى هذه الهالة الشفافة في مكان وجود المرض. وعندما يحين أوان تطبيق قانون الأعمال تبدأ الذبذبات المرضية بالانتقال من الشاكرات إلى الغدد الصماء الكامنة في التجاويف، حيث تقوم هذه الأخيرة عبر إفرازات كيميائية معينة بنقل الذبذبات المرضية محوّلة اياها إلى مواد كيميائية عبر نقلها إلى الحمض النووي RNA الذي فيه تحفظ تلك الذبذبات، وبالتالي تأتي الجينات الوراثية أو DNA كحصيلة أو معلومات تلك الذبذبات، لا بل تجسيد تلك الذبذبات في الجسد المادي.

وهنا لا بد أن نشير إلى الرازي، الطبيب العربي المشهور الذي ذاعت شهرته من خلال بحثه عن الأسباب البعيدة التي سبّبت المرض، وهذا ما اتسم به فكر الرازي في معالجته لمرضاه. بينما العلم الحالي يعالج النتائج والظواهر، إذ يعتبر الحمض النووي RNA دماغ الخلية، حيث يقوم بنقل الذبذبات المرضية إلى الـ DNA الموجودة في نواة الخلية، وبالتحديد الكروموزومات كي يتفعّل المرض في عمر معين عندما يتوجّب علينا تسديد ديون أعمالنا، هذا إن لم نعمد إلى تصحيح ما ارتكبناه من أخطاء قبل فوات الأوان. فلا الهندسة الوراثية سوف تنجح بإيجاد إنسان خال من الأمراض ولا الطب يستطيع أن يشفي الإنسان من أمراضه المتعددة، بل الإنسان نفسه. والقول المعروف «الإنسان طبيب نفسه» لم يأت اعتباطياً، بل ليذكر الإنسان أن الأمراض منشؤها نفس الإنسان.

ولا بأس إن ذكرنا مجدّداً بما قاله أحد رجالات الدين، إذ قال: «إذا أردتم اجتناب المرض فتحفظوا عن الخطيئة (الأعمال السلبية)، لأنه غالباً ما يكون المرض ثمرة الخطيئة». وكل من قرأ كتاب الشفاء لابن سينا تبين له أن شفاء النفوس أهم من شفاء الأجساد، لأن الأجساد مرايا عاكسة للباطن...فالجسد عرضة دائماً للتغير إذا ما أصابه المرض أو حتى بتر احد أعضائه في حادث ما. أما النفس فهي غير قابلة للبتر، وبناءً على هذا المفهوم للنفس يقول ابن سينا: «إن النفس كجوهر روحاني قائم بذاته ليست بحاجة إلى الجسد بقدر ما يكون الجسد بحاجة إليها، وهذا يتوافق مع علم «الايزوتيريك» الذي يحدد أن العقل هو الذي يسّير الجسد، وهو مصدر حركته.

وفي القرآن الكريم في سورة الرعد:11- ذكر في قوله تعالى «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». وهذه دلالة واضحة على أن النفس هي الأصل فيما الجسد هو انعكاس.

وفي رأي أرسطو فإن النفس هي الصورة فيما الجسم هو «الهيولى». وكلمة «هيولى»، كلمة يونانية الأصل وهي hyle ومعناها المادة الأولى، وباتحاد الصورة و«الهيولى» يتكوّن الإنسان. أي أن الإنسان ليس نفساً فقط وليس جسماً فقط ولكنه كلاهما.

وخلاصة القول أن الإنسان مكوّن من مادة ولامادة، أي من جسد ونفس وباطن وروح، وهذا ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات. فالجسد هو الصورة فيما المثال هو ذاته العليا الخالية من الأمراض والعلل وهو مدعو ليكتسب المثال ليصبح في ما بعد على الصورة والمثال.

صحيح أن هنالك وسائل علاج متعددة كالوخز بالإبر (acupuncture) والوخز بالأصابع (digiopuncture) والمعالجة المثلية (homeopathy) وغيرها من وسائل معالجة طبيعية متعددة، جميعها حتى لو أدّت إلى نسبة نجاح معينة لا يمكننا أن نعتمدها كأساس علمي لمعالجة الأمراض.لأنه كما اشرنا سابقاً بمقدار ما يتخلّص الإنسان من السلبيات ويتجنّب الوقوع بها بقدر ما يبعد الأمراض من حياته، فالصحة السليمة تكون انعكاساً لتفتح أبعاد الوعي في الإنسان والتي اصطلح على تسميتها بالأجسام الباطنية... وكلما ازداد الإنسان تفتحاً ونمواً ووعياً، ازداد صحة وجمالاً وإشراقاً.

المراجع:

- منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء سلسلة علوم الايزوتيريك

- sc.&vie annee 1992et 1995 n.901et937

- حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ للأستاذ محمد صالح المحب- الطبعة الأولى عام 2000